وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمي
المركز الجامعي مرسلي عبد الله - تيبــازة -
معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الاجتماعية

د/ غماري فوزية
د/ بوالقمح نزيهة

المحاضرة السادسة: مناهج البحث في علم النفس

1-تعريف المنهج

تستخدم كلمة **"منهج"** للتعبير عن المقرر الدراسي أو مجموعة المقررات الدراسية ويترجم بمصطلح Curriculum، وقد اتسع هذا المصطلح ليشمل جميع جوانب العملية التعليمية بما فيها الكتب الدراسية، والمواد التعليمية والمعدات والأجهزة والاختبارات أي كل العمليات والممارسات التربوية.

ولكن من منظور البحث العلمي فهي تشير إلى الطريقة أو الأسلوب ويعبر عنه بمصطلح Méthode فالمنهج هو الطريقة والإجراءات التي يتبعها الباحث في دراسة المشكلة من أجل التوصل إلى الحقيقة، حيث استخدم "أفلاطون" كلمة منهج بمعنى البحث أو المعرفة أو التأمل، كما أن "أرسطو" استخدم كلمة منهج بمعنى البحث، ومع تطور العلوم أصبحت كلمة منهج تعني مجموعة من القواعد العامة والموضوعية للتوصل إلى نتائج معينة.

والعلم الذي يبحث في هذا المعنى هو مناهج البحث حيث تكونت منذ القرن السابع عشر فكرة المنهج العلمي وذلك على يد "فرانسيس بيكون" وغيره من العلماء الذين اهتموا بالمنهج التجريبي، وقد حددوا مفهوم المنهج بأنه: الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة مجموعة من القواعد التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معينة. (بشير صالح الرشيدي،2000)

2-تصنيفات مناهج البحث

تتحدد تصنيفات المناهج بالطريقة التي يتم إتباعها في دراسة المشكلة في حين أن تصنيف البحوث فهي مرنة وقد تصنف على أساس الهدف الرئيسي للبحث أو أسس أخرى. ومنذ الثلاثينات من القرن 20 وجدت تصنيفات متعددة لمناهج البحث أبرزها تصنيف F.Whitney وهو يتضمن المنهج الوصفي، المنهج التاريخي والمنهج التجريبي بجانب أربع أنماط من البحوث هي: النمط الفلسفي، النمط التنبؤي والنمط السوسيولوجي ثم النمط الإبداعي.

كما وضع D.Marquis تصنيفا لمناهج البحث الاجتماعي ويرى أن المناهج الرئيسية هي: المنهج الأنثروبولوجي القائم على الملاحظة الميدانية لسلوك الجماعة بالإضافة إلى المصادر المكتبية والمقابلات مع أعضاء الجماعة، منهج دراسة الحالة الذي يستخدم على نطاق

واسع في علم النفس بفروعه المختلفة، والمنهج الفلسفي، المنهج التاريخي ثم المنهج التجريبي، ويعد علم النفس حسب D.Marquis أكثر العلوم الإنسانية اعتمادا على المنهج التجريبي الذي يتضمن استخدام التجربة باعتماد الاختبارات المناسبة للموضوع والتوصل إلى نتائج كمية وكيفية.

ويقدم كل من "أبو حطب" و"صادق" تصنيفا لمناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية كما يلي:

-تصنيف مناهج البحث حسب بعد الزمن ويشمل : المنهج التاريخي (دراسة الماضي)، المنهج الأمبريقي(دراسة الحاضر) والمنهج التنبؤي (دراسة المستقبل).

-تصنيف مناهج البحث حسب حجم المبحوثين ويشمل: منهج دراسة حالة ومنهج العينة ومنهج الأصل الإحصائي العام.

-تصنيف مناهج البحث حسب المتغيرات المستخدمة ويشمل: المنهج البعدي أي دراسة الظاهرة بعد حدوثها دون تدخل الباحث ودون ضبطه للمتغير المستقل، والمنهج الشبه تجريبي والمنهج التجريبي .

-تصنيف مناهج البحث حسب الهدف من البحوث ويشمل: المنهج الوصفي، المنهج المقارن، المنهج الارتباطي والمنهج التفسيري. (بشير صالح الرشيدي،2000)

وفيما يلي سوف نركز على أربع مناهج أساسية في البحوث النفسية هي المنهج الوصفي والمنهج المقارن ، المنهج التجريبي والمنهج العيادي.

2-1-المنهج الوصفي

يعرف المنهج الوصفي بأنه مجموعة من الإجراءات البحثية التي تتكامل لوصف الظاهرة أو الموضوع اعتمادا على جمع الحقائق والبيانات وتصنيفها ومعالجتها وتحليلها تحليلا كافيا ودقيقا لاستخلاص دلالتها والوصول إلى نتائج أو تعميمات عن الظاهرة أو الموضوع محل البحث. وتتعدى البحوث الوصفية الوصف الدقيق المتكامل إلى التفسير والاستدلال وهو منهج يرتكز على مجموعة من الأسس أهمها التجريد والتعميم.

فالتجريد هو عزل وانتقاء مظاهر معينة أو انتقاء جزء من كل، وذلك ضمن عملية تقويم هذا الجزء وصلته بغيره من الأجزاء، ورغم أن التجريد سمة أساسية في البحوث عموما إلا أن قيمتها في البحوث الاجتماعية قد اعترضتها بعض المشكلات من حيث تعقد الظواهر الاجتماعية وتعذر التجريد فيها .

أما التعميم فهو الحكم المتعلق بفئة معينة، فالوقائع إذا صنفت على أساس عامل مميز، أمكن استخلاص حكم يصدق على فئة معينة، والحكم قد يكون شاملا وقد يكون جزئيا.

يتضمن المنهج الوصفي مجموعة من المناهج الفرعية بحيث يمكن وصف الظاهرة أو الموضوع محل الدراسة وصفا دقيقا ومتعمقا بما يتيح الفهم من خلال الطريقة المسحية، أو من خلال وصف العلاقة بين المتغيرات المؤثرة في الظاهرة أو الموضوع، أو من خلال التعمق في

دراسة نماذج من الحالات، أو من خلال رصد وتحليل البيانات المتاحة عن الظاهرة أو الموضوع وصياغتها بأسلوب كيفي وبالتالي يتضمن المنهج الوصفي المناهج الفرعية التالية: (بشير صالح الرشيدي،2000)

2-1-1-منهج المسح Survey

يعرف المسح بأنه محاولة بحثية منظمة لتقرير وتحليل و وصف الوضع الراهن لموضوع أو ظاهرة أو نظام أو جماعة بهدف الوصول إلى معلومات وافية ودقيقة، وتتفق التعريفات التي وضعت لمفهوم المسح على أنه ينصب على الوقت الحاضر أي وقت إجراء البحث وأنه الدراسة العلمية للظواهر أو الموضوعات القائمة في جماعة معينة وفي مكان معين.

وللدراسات المسحية أهمية بالغة في المجال التربوي، فعن طريقها تتاح المعلومات المنظمة عن الظواهر التربوية المختلفة بما يساعد على الفهم الدقيق لهذه الظواهر. كما يستفاد من الدراسات المسحية في تخطيط التعليم ودراسة المشكلات التربوية القائمة وتحديد مدى تأثيرها على المجتمع وإمكانية حلها وكذا في معرفة اتجاهات الرأي العام نحو القضايا التربوية والسياسة التعليمية... وتتم الدراسات المسحية في المجال التربوي بالحصر الشامل أو بالعينة، كأن يتم إجراء دراسة مسحية على جميع مدارس التعليم العام في مجتمع معين لاستطلاع آراء مديري هذه المدارس حول المشكلات التي تواجه العملية التعليمية.

وتتمثل المحاور الرئيسية للدراسات المسحية في الحقل التربوي في:

-الظروف الفيزيقية المتصلة بالتعلم.

-العلاقة بين سلوك المدرسين والتعلم.

-نتائج تعلم التلاميذ أو قدرتهم.

كما ظهرت ما يسمى ببحوث المسح المدرسي مثل مسح المباني المدرسية، وتقدير أعداد التلاميذ المنتقلين مستقبلا ونظام انتقال التلاميذ ومواصلاتهم والموارد المالية وهي تتم بالتعاون بين هيئة التدريس ومجموعة من الخبراء والمستشارين.

وتتمثل أساليب الدراسة المسحية في:

-الأساليب التقليدية التي تستخدم في الدراسات الأخرى من الاستبيانات المقننة والاختبارات والمقاييس، كما تعتمد على المصادر الأولية والثانوية للبيانات مثل الإحصائيات والتقارير والوثائق.

-تحليل النشاط أي تحليل نشاط الفرد أو العمل الذي يقوم به كتحليل نشاط المدرس ليفيد في التعرف على جوانب الضعف والتكرار وعدم الكفاءة، التحديد الدقيق للأجور والمرتبات والمكافآت بما يتناسب وطبيعة النشاط، التعرف على الكفاءات التربوية عند اختيارها لشغل المناصب، وضع برامج التدريب.

-تحليل المحتوى وهو التحليل الكمي المنظم للمادة أو المحتوى كتحليل المحتوى التربوي الذي تقدمه وسائل الإعلام لمعرفة القيم المتضمنة في تلك البرامج مثلا، أو تحليل محتوى المقررات الدراسية من منظور أهداف التربية وغاياتها .

أما خطوات الدراسة المسحية فتتمثل في:

-تحديد الموضوع وصياغته.

-وضع خطة البحث من حيث تحديد الهدف، والنقاط الرئيسية والفرعية، والمفاهيم المستخدمة وأدوات جمع البيانات.

-جمع البيانات من الميدان.

-تحليل البيانات من حيث مراجعتها وتصنيفها ، إلى جانب المعالجة الإحصائية للبيانات وجدولتها .

-عرض النتائج والتعليق عليها.

-كتابة التقرير النهائي للبحث. .(بشير صالح الرشيدي،2000)

2-1-2-المنهج الارتباطي

يتجسد هذا المنهج في دراسة وتحليل الارتباط بين المتغيرات في إطار الظاهرة أو موضوع البحث، وبالتالي تبحث الدراسة الارتباطية في العلاقة بين المتغيرات ويتم التعبير عن مقدار هذه العلاقة بمعامل الارتباط. مثال على ذلك دراسة العلاقة بين الذكاء والتحصيل الدراسي كأن يميل التلاميذ الذين يحصلون على نسب عالية في الذكاء، إلى الحصول على معدلات عالية في التحصيل الدراسي والعكس صحيح ولكن وجود علاقة بين متغيرين لا يعني أن أحدهما سبب في حدوث الآخر وإنما هناك تلازم في الحدوث، أما البحث عن وجود علاقة سببية فيتطلب استخدام التجربة للبرهنة على ذلك.

إن الدراسات الارتباطية ترصد الواقع الفعلي بتلازم المتغيرات ولا تحدد علاقات سببية بينهما وهي لا تتحكم في المتغيرات المستقلة أي أنها أقل ضبطا ودقة إذا قورنت بالبحوث التجريبية مثلا ، كما أنها تعتمد على مصداقية المتغيرات . ومع ذلك فإن البحوث الارتباطية تفيد في دراسة المشكلات التربوية لأنها تتيح قياس عدد من المتغيرات وهي تدرس علاقات موجودة فعلا بين المتغيرات في الظروف الطبيعية كما تكشف عن درجة وطبيعة العلاقة موجبة أو سالبة كانت بين المتغيرات و لا تتطلب استخدام عينات كبيرة.

2-1-3-منهج دراسة حالة

يقصد به وصف موضوع مفرد بمعنى تناول الموضوع من خلال فرد أو جماعة أو نظام اجتماعي أو مجتمع محلي وذلك بصورة مفصلة ومستفيضة للكشف عن جوانب الموضوع والوصول إلى تعميمات تنطبق على الحالات المشابهة. وفي المجال التربوي فإن الحالة قد تكون تلميذا واحدا أو مجموعة من التلاميذ كما قد تكون مدرسة، أو أسرة أو مقررا دراسيا أو مرحلة دراسية أو مجموعة من المعلمين فكل وحدة من هذه الوحدات تعتبر حالة.

ولا يقتصر منهج دراسة الحالة على مجرد الوصف الظاهري بل يتعمق فيما وراء الوصف، فيهدف إما إلى تحديد مختلف العوامل التي تؤثر في الوحدة المدروسة أو الكشف عن العلاقات السببية بين أجزاء الظاهرة. وقد انتشر منهج دراسة الحالة خاصة بظهور نظرية

الجشتلت التي لفتت النظر إلى ضرورة الاهتمام بالموقف الكلي الذي يتفاعل فيه الكائن الحي باعتباره جزءا من الموقف لا ينفصل عنه، وبالتالي أصبح هذا المنهج يستخدم في :

-دراسة التاريخ التطوري لشيء أو شخص أو موقف معين.

-المعرفة الحقيقية بالحياة الداخلية لشخص ما ، بدراسة حاجاته واهتماماته ودوافعه على أن ينظر إلى هذا الشخص باعتباره عضوا في الجماعة التي يعيش فيها ويتفاعل معها في إطار الثقافة الكلية.

-دراسة المواقف المختلفة بصورة تفصيلية في مجالها الاجتماعي ومحيطها الثقافي بما تشمله الثقافة من عادات وتقاليد وقيم وآراء وأفكار واتجاهات سائدة.

2-1-4-منهج التقارير السردية

يعتمد هذا المنهج على استخدام الطرق الكيفية في معالجة البيانات، فهو لا يتضمن عمليات ميدانية على عينات أو مجموعات من الأفراد وبالتالي لا تتضمن الأساليب الإحصائية بمستوياتها المختلفة وان كان من الممكن فقد تتضمن أرقاما مستمدة من مصادر أولية أو ثانوية لشرح وتفسير الأفكار الواردة في البحث. مثال ذلك أن يتناول البحث موضوع تطور التعليم، التربية المقارنة والفكر التربوي لدى العلماء والفلاسفة السابقين.(بشير صالح الرشيدي،2000)

2-2-المنهج التجريبي

يقوم المنهج التجريبي على استخدام التجربة العلمية في دراسة الظاهرة أو الموضوع وهذا الاستخدام كطريقة بحثية تمتاز به البحوث ذات الإجراءات السليمة والنتائج الدقيقة وبالتالي القيمة العلمية العالية.

فالمنهج التجريبي هو طريقة بحثية تتضمن تغييرا متعمدا ومضبوطا للشروط المحددة لواقعة معينة مع ملاحظة التغيرات الناتجة عن ذلك وتفسير تلك التغيرات. إنه يقوم أساسا على التجربة العلمية التي تكشف عن العلاقات السببية بين المتغيرات المؤثرة في الظاهرة محل البحث، وتستخدم التجربة في اختبار فرض أو أكثر لتقرير العلاقة بين المتغيرات من خلال دراسة المواقف المتقابلة التي ضبطت كل المتغيرات ما عدا المتغير المستهدف معرفة تأثيره.

و في الدراسة التجريبية يتناول الباحث متغيرا مستقلا واحدا على الأقل ويضبط المتغيرات الأخرى ذات العلاقة بالظاهرة، وهذه الفكرة تمثل الخاصية التي تميز البحوث التجريبية. والمتغير المستقل يطلق عليه المتغير التجريبي، وفي البحث التربوي فإن هذا المتغير يتم التحكم فيه وقد يكون ذلك من خلال طريقة التعلم أو نمط التعزيز، أو ترتيب بيئة التعلم أو نوع مادة التعليم ...إلخ، أما المتغير التابع فهو متغير المحك وهو يتغير اعتمادا على التغير في المتغير المستقبل وقد يقاس المتغير التابع باختبار أو مقياس مقنن جاهز ومن المتغيرات التابعة سرعة الانتباه والتحصيل الدراسي ...الخ، انه باختصار نتاج قابل للقياس. فالطريقة التجريبية هي طريقة البحث الدقيقة التي يمكن بواسطتها اختبار الفروض المتعلقة بالسبب والنتيجة وبالتالي فهي بمثابة المدخل الأساسي لإثراء الدراسات وفهم المشكلات.

ومن أهداف المنهج التجريبي التفسير والتنبؤ وقد يتضمن الوصف أيضا، فالتفسير هدف وليس منهج، فالمنهج التجريبي يحاول الإجابة على السؤال (لماذا؟) بمعنى أنه يستهدف معرفة أسباب الظاهرة أو الموضوع ويستخدم الإجراءات التي توصل إلى الهدف، ويبقى التفسير مرحلة متقدمة من البحث تسبقها المرحلة الوصفية. (بشير صالح الرشيدي،2000)

فالبحث التجريبي ينطلق من تغير مقصود ومضبوط للشروط المحددة للواقعة أو الظاهرة التي تكون موضوع الدراسة وملاحظة ما ينتج عن هذا التغير من آثار في هذا الواقع أو الظاهرة أو ملاحظة تتم تحت ظروف مضبوطة لإثبات الفروض ومعرفة العلاقة السببية. ويقصد بالظروف المضبوطة إدخال المتغير التجريبي إلى الواقع وضبط تأثير المتغيرات الأخرى، وبعبارة أخرى هي استخدام التجربة لإثبات الفروض أو إثبات الفروض عن طريق التجريب. وكل ظاهرة تتأثر بالعديد من العوامل المؤثرة كأن تتأثر حوادث السيارات بعوامل مثل السرعة، ومهارة السائق وخبرته ونوعية الطرق وصلاحية السيارة والأحوال الجوية وكل عامل من هذه العوامل يؤثر بدرجة معينة على الحوادث وإذا أردنا معرفة تأثير الحالة النفسية للسائق فلا بد أن نبعد أثر العوامل الأخرى.

وتمثل العوامل المؤثرة جميع العوامل التي تؤثر على الموقف، والعامل المستقل(أو المتغير التجريبي) هو العامل الذي نريد قياس مدى تأثيره على الموقف، أما العامل التابع (أو المتغير التابع أو الناتج) فهو العامل الذي ينتج عن تأثير العامل المستقل، وبالتالي يعتمد المنهج التجريبي على ضبط العوامل أي إبعاد جميع العوامل الأخرى عدا العامل التجريبي بحيث يتمكن الباحث من الربط بين العامل التجريبي والعامل التابع أو الناتج.

أما أنواع التجارب فتتمثل في:

- التجارب المعملية والتجارب غير المعملية، فالتجارب المعملية تتم داخل المخبر أو المعمل في ظروف صناعية خاصة تصمم لأغراض التجارب، ويتميز هذا النوع من التجارب بالدقة وسهولة إعادة إجراء التجربة أكثر من مرة للتأكد من صحة النتائج.

في حين أن التجارب غير المعملية فتتم في ظروف طبيعية خارج المختبر وغالبا ما تجرى على الأفراد ومجموعات من الناس حيث يصعب إدخالهم المختبر، ولكونها تتم في ظروف طبيعية فهي أكثر صعوبة وأقل دقة.

-تجارب تجرى على مجموعة واحدة وتجارب تجرى على أكثر من مجموعة.

-تجارب قصيرة وتجارب طويلة المدى كدراسة أثر تدريب الوالدين على برامج تعديل سلوك الأبناء وهي تتطلب وقتا طويلا، وقد تصمم التجربة لفترة قصيرة كأن يدرس أثر فيلم كارتوني على سلوك الأطفال مثلا.

الخلاصة أن هذا النوع من المناهج يعتمد في البحوث التي تهدف إلى التنبؤ بالمستقبل حول أي تغيير إصلاحي يجب تطبيقه على الظاهرة المدروسة سواء كان تغييرا وقائيا أو علاجيا. (بشير صالح الرشيدي، 2000)

2-3-المنهج المقارن

تستخدم المقارنة عند الموازنة بين الحالات أو العينات أو المجموعات أو المجتمعات والفترات الزمنية أو الخصائص والسمات، والمنهج المقارن شائع الاستعمال في مجال التربية المقارنة وعلم النفس المقارن حيث اقترن ذلك تاريخيا بالمقارنة بين سلوك الإنسان وغيره من الكائنات العضوية بحثا عن نشأة السلوك. ويذهب البعض إلى أن المقارنة هي محور المنهج العلمي ومن خلالها يمكن ملاحظة أو استنتاج أوجه التشابه والاختلاف وكذلك التغاير المتلازم في الحدوث والأسباب طالما كانت هناك أسس منطقية للمقارنة وأن تسفر عن محددات دقيقة تمكن من فهم الظاهرة على نحو أفضل.

وتتمثل الأسس المنطقية للمقارنة في وجود عموميات بحثية وهي تلك الجوانب المتعارف عليها في مجال معين مثل قوائم الحاجات الأولية في علم النفس وهي أبعاد تتضمن عوامل مشتركة يمكن أن تختلف فيها الأفراد والجماعات وبالتالي يمكن إجراء المقارنات بينها.

ويتم إجراء الدراسات المقارنة في علم النفس والتربية وغيرهما وذلك في أكثر من مجتمع كأن يلاحظ الباحث سلوكين أو أكثر في نسقين ثقافيين أو أكثر يرتبطان بمواقف متشابهة وظيفيا كأن يتمثل النسق الأول في أمهات لديهن مشكلات نفسية حسب ما تبينه مقاييس التشخيص والنسق الثاني يتمثل في أمهات يتمتعن بصحة نفسية جيدة وأن المواقف الوظيفية هي تلك المواقف المعبرة عن الدور الوالدي للأم، ويتجسد السلوك الملاحظ في تلك المواقف.

ويمكن أن تتم المقارنة عبر الزمن بمعنى مقارنة خصائص الظاهرة خلال فترة زمنية معينة بخصائصها خلال فترة زمنية أخرى، وفي هذه الحالة يستخدم المنهج الطولي Longitudinal أي دراسة التغيرات التي تحدث في الظاهرة أو الموضوع خلال فترة زمنية معينة. كما أن المقارنة يمكن أن تتم بين مجموعات تدرس من خلالها الظاهرة في وقت واحد وفي هذه الحالة يستخدم المنهج العرضي Cross-sectional والمقارنة يمكن أن ترتكز أيضا على الطريقتين الطولية والعرضية فيستخدم منهج التحليل التتابعي .

كما تعتمد الدراسات المقارنة على منهج الدراسات السببية المقارنة التي ترتكز على المقارنة في دراسة المشكلات العملية، فهي تقوم بدراسة الظواهر في ظروف طبيعية أو مصطنعة كمتغيرات مستقلة لا يستطيع الباحث التدخل فيها وحيث يقوم بانتقاء وليس معالجة المتغيرات المستقلة في دراسته للمتغير التابع وذلك باعتماد تصميم مجموعة المحك، كأن نقوم بإجراء دراسة على مجموعتين من التلاميذ لنقارن بينهما من حيث مستوى التحصيل الدراسي على أن تكون المجموعة الأولى مثلا تعيش مع الأم ، بينما المجموعة الثانية لا تعيش مع الأم وذلك بهدف معرفة أثر الحرمان من الأم على التحصيل الدراسي وذلك لاستحالة القيام بالتجربة وفصل الأطفال عن أمهاتهم من أجل التحقق من ذلك فالمتغير المستقل هو الظروف الموجودة في الواقع كالعيش مع الأم أو بدونها والمتغير التابع هو التحصيل الدراسي.

إن هذا النوع من الدراسات تقوم على طريقة بحثية تتضمن مجموعة من الإجراءات التي تعمل في اتجاه معرفة خصائص وتفسير الفروق بين مجموعتين أو أكثر في جانب أو متغير معين اعتمادا على الاختلاف في متغير مستقل والتشابه في بقية المتغيرات التي تؤثر أو يحتمل

أن تؤثر في المتغير التابع ورصد وتفسير هذه الاختلافات تتم في حدود المعطيات الإحصائية وقد تتأكد أو تنتفي. والطريقة السببية المقارنة قد تبدأ بنتيجة أو أثر ثم تستخدم الإجراءات التي تفسر هذه النتيجة أو هذا الأثر، كأن يفترض الباحث وجود فروق في التوافق الاجتماعي بين تلاميذ السنة الأولى ابتدائي بمقارنة التلاميذ الذين درسوا في رياض الأطفال والتلاميذ الذين لم يسبق لهم الالتحاق بالروضة ويقوم بقياس مستوى التوافق لدى المجموعتين .

كما يمكن لهذه الطريقة أن تبدأ بالسبب وتبحث أثره على متغير آخر أي ما أثر الظاهرة (س) على الظاهرة (ص) كدراسة أثر معاناة الأمهات من الصدمة على المشكلات السلوكية لدى أبنائهن وهنا يعمل الباحث على مجموعة الأمهات اللائي يعانين من الصدمة ومجموعة الأمهات اللائي لا يعانين منها. وهذا النوع من الدراسات السببية المقارنة تتضمن عادة متغيرا مستقلا واحدا على مستوى مجموعتين أو أكثر، في حين أن الدراسات الارتباطية تتضمن أكثر من متغير مستقل على مستوى المجموعة الواحدة وذلك لأنها لا تبحث عن السبب-النتيجة وإنما تبحث عن التلازم في التغير فقط.

ومع ذلك يؤخذ على هذا النوع من الدراسات أن المتغير المستقل لم يخضع للضبط وبالتالي العلاقة بين السبب والنتيجة غير محسومة فالسبب قد يكون نتيجة وقد يكون هناك متغير ثالث وراء السبب أو النتيجة مثال عن ذلك : مفهوم الذات الإيجابي ومفهوم الذات السلبي هل هو نتيجة أو سبب في التحصيل الدراسي؟(بشير صالح الرشيدي،2000)

2-4-المنهج العيادي أو الإكلينيكي

ويسمى أيضا بمنهج دراسة حالة فهو منهج يعرف بأنه طريقة علمية تتميز بالعمق والشمول والفحص التحليلي الدقيق لأي ظاهرة أو مشكلة أو نوع من السلوك المطلوب دراسته لدى الشخص بهدف الوصول إلى استنتاجات ومبادئ عامة تخدم عمليات التشخيص والعلاج والتوجيه والإرشاد . إنها وسيلة تقوم على تلخيص أكبر عدد من المعلومات عن الفرد وتقديم صورة شاملة عن الشخصية ككل وبذلك تشمل دراسة مفصلة للفرد في حاضره وماضيه وهي بذلك تصور فعلا فردية الحالة Individualité . كما تهدف إلى الوصول إلى فهم أفضل للعميل وتحديد وتشخيص مشكلاته وطبيعتها وأسبابها واتخاذ التوصيات الإرشادية المناسبة. ويهدف هذا المنهج أساسا إلى تجميع المعلومات ومراجعتها ودراستها وتحليلها وتركيبها وتجميعها وتنظيمها وتلخيصها . وقد استخدم هذا المنهج العالم السويرسري Jean Piaget عندما قام بدراسة أطفاله خلال مرحلة الرضاعة والطفولة، كما قام العالم الألماني Ebbinghaus (1909-1950) عندما قام بدراسة نفسه كمفحوص بهدف تحديد منحنى النسيان، كما استخدم Freud هذا المنهج في مساعدة مرضاه على استعادة الذكريات الخاصة بخبراتهم ومشاعرهم السابقة وذلك باعتماد الوثائق الشخصية والرسائل والمفكرات بعد فحصها وتحليلها للتأكد من واقعيتها وأصالتها بالإضافة إلى التاريخ الطبي والمقابلات الإكلينيكية مما سمح لFreud برسم صورة متكاملة عن المفحوصين وأسباب أو عوامل اضطرابهم.

ويرتكز المنهج الإكلينيكي على ثلاث مسلمات أساسية:

أ-التصور الدينامي للشخصية أي أنها نتاج تفاعل جوانب مختلفة فيما بينها ومع المحيط.
ب-النظر إلى الشخصية كوحدة كلية حالية في صلتها بالعالم .
ج-النظر إلى الشخصية كوحدة كلية زمنية تتضح في ضوء تاريخ حياة الشخص وتوجهاته نحو المستقبل.

وترتكز هذه المسلمات الثلاث على: ملاحظة السلوك من حيث الكشف عن استجابة الوحدة الكلية الحالية للشخصية في استجابتها لموقف الفحص والدراسة وكذا المقابلة التي تقدم لنا معطيات تاريخية تسمح بتحديد مكانة المعطيات الحاضرة في إطارها التاريخي وهو ما يسمى بتاريخ الحالة.

وقد تستخدم في دراسة الحالة اختبارات ومقاييس بالإضافة إلى الملاحظة وعقد المقابلات الشخصية مع الشخص، والديه، زملائه أو معلميه وغيرهم، وعادة ما يكون الهدف التشخيص والعلاج.

مثال عن ذلك أن إحدى المدارس حولت طفلا إلى إحدى العيادات النفسية لأنه يعاني من مشكلات سلوكية وجاء في التقرير الشفهي للأم أنه عنيد، متمرد ، فظ، عنيف وعدواني ويتحدى العقاب والتهديد وقد هرب من المنزل عدة مرات. وهنا تبدأ دراسة تاريخ الحالة بعقد مقابلات يتم فيها الحصول على بيانات تتعلق بتطور تاريخ حياة الفرد مع الاهتمام بالأحداث والمواقف والمشاكل ذات الدلالة بالنسبة للمشكلة الحالية وإذا أضيفت بيانات خاصة بنتائج بعض الاختبارات أجريت على الطفل كاختبار الاستعدادات والشخصية والذكاء، ويمكن للأخصائي النفسي أن يفهم الأسباب الكامنة وراء سلوك الطفل على ضوء تاريخه وبالتالي يستطيع مساعدته . ومن البيانات التي يجب جمعها:

-النمو الجسمي وعادات الأكل والنوم
-التكيف المدرسي
-العلاقات الأسرية
-القدرات العقلية والاهتمامات الخاصة
-التوافق النفسي والاتزان الانفعالي. (محمد أحمد عبد الخالق وعبد الفتاح محمد دويدار،1999)

فالمنهج الإكلينيكي يهتم بدراسة الشخص ككائن إنساني متفرد عن طريق دراسة الحالة وتاريخ الحياة وتكوين صورة معمقة متكاملة عنه كشخصية متفردة لها جذورها في الماضي ولها أبعادها المركبة في واقعه الحاضر وتطلعاتها إلى المستقبل.

ورغم أن الطريقة الإكلينيكية أكثر استعمالا في دراسة اضطرابات الشخصية وساهمت في معرفة خصائص الشخصية وفهم الدوافع النفسية، إلا أنها أثبتت أيضا أنها ذات قيمة في دراسة الظاهرات النفسية في حالات السواء مثال ذلك أعمال Piaget في دراسة نمو الأطفال المعرفي بالطريقة الإكلينيكية. (طلعت منصور وآخرون،2003)

المراجع

-بشير صالح الرشيدي. (2000). مناهج البحث التربوي، رؤية تطبيقية مبسطة. الكويت، دار الكتاب الحديث، الطبعة الأولى.(**ملاحظة: المراجع الأخرى موجودة في محاضرات المحور الأول)**